الأزهر والاصلاح

للأستاذ محمد سيد أحمد الشال

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى فى العدد سنة ٧٨٦ من الرسالة الغراء ، وما علق به الأستاذ سليمان دنيا فى العدد ٧٨٩ من المجلة المذكورة . ومقاله الأستاذ الشرقاوى كما وصفه الأستاذ دنيا قد صور الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر حتى يتحقق له أن يكون قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ليقاوم ما ينتاش العالم كله من أباحية وإلحاد .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن يخرج الأزهر طائفة من الرجالى يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم .

ولقد عتب الأستاذ الشرقاوى أنه ألم برسم الخطوط ولم يبين المعالم للاصلاح . وأنا بدورى أعتب على الأستاذ دنيا أنه لم يحاول أن يكون له قصل السبق إلى بيان الطريق الموصل إلى الإصلاح بعد قوله : فمن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر يجاهدون ما وسعهم الجهد لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة . ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولاتهم ولكنهم دائبون حريصون؛ ومن الأزهريين كثير من الشغوفين بالحديث عن الإصلاح فى الأزهر حتى أصبح شغلهم الشاغل وهمهم الذى يتذاكرونه فى غدوهم ورواحهم وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ولهم فى هذه السبيل نشاط مذكور .

وأنا لا أشك فى أن الأستاذ دنيا من هذا النفر الكريم الذى يعملون فى هدوء ويفكرون فى سكينة ولا يطلع أحد على مجهودهم أولا يحبون أن يقف أحد على مجهودهم . ولا أدرى إلى متى يظلون يفكرون ويقلبون الرأى ويمحصونه ويستخلصون من وراء ذلك كله ما لا يطلع عليه أحد أو ما لا يريدون أن يطلع عليه أحد .

وعلى هؤلاء وحدهم ممن يشعرون بالمسؤولية ويلمسون النقص وبين جوانحهم ضمائر حين تفكر فى النهوض بالأزهر إلى المستوى اللائق به تقع التبعة أمام الجيل الحاضر والأجيال القادمة بل أمام الله وأمام رسوله .

وإلى متى يظل هؤلاء فى تفكيرهم وسكوتهم . ألم يسمعوا المرسوم الصادر بإنشاء قسم للشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق لدراسة فقه القرآن والسنة والفقه الإسلامى وأصوله وغير ذلك من المواد ؟ ألم يسمعوا بما اعتزمته الجامعة العربية من إنشاء معهد للفقه الإسلامى ودراسته مع ما يتعلق بذلك من دراسة القوانين الوضعية والمقارنة بين القوانين ؟

وإلى متى يظل التفكير فى الإصلاح وطرقه ؟ وأظن أنه سيظل إلى أن ينفذ المرسوم بإنشاء قسم للشريعة فى كلية الحقوق ، وبإنشائه تكون السبيل قد مهدت لتوحيد القضاء الشرعى وهو المظهر الضيق الباقى من آثار التشريع الإسلامى . وإلى أن تنفذ الجامعة العربية ما قدرته من إنشاء معهد للفقه الإسلامى تتوسع فيه كل التوسع وتعتز به كل الاعتزاز وتؤازره كل المؤازرة حتى يخرج رجالا لهم دراسات واسعة مطابقة للأوضاع الحديثة والاصلاحات الجديدة فى الاستنباط والتطبيق والاجتهاد .

وأظن أنه لا يشك أحد أن فى تنفيذ ما تقدم سلباً لكثير من حقوق الأزهر واختصاصه واعتداء على ما هيأ نفسه له .

وأى شىء يبقى له بعد ضم دار العلوم للجامعة وبعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه الاسلامى ؟ وأى باعث على ضم دار العلوم

وله كثير من المؤلفات منها (كتاب التوحيد ، وكتاب الفناء ، وكتاب الميثاق ، وكتاب دراء الأرواح ، وكتاب آداب الفقر ، وكتاب مراتقاس الصوفية ، وغير ذلك كثير) كما أن له رسائل هامة وأجوبة على كثير من الأسئلة التى كانت توجه إليه . وكان ورده فى اليوم ثلثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة . ولما حضرته الوفاة جعل يصلى ويتلو القرآن فقيل له لو رفقت بنفسك فى مثل هذا الحال ؟ فقال: لا أجد أحوج منى إلى ذلك الآن ، وهذا أوان طى صحيفتى . ثم فاضت روحه ، وكان ذلك سنه ٢٩٨ للهجرة النبوية ، فبكاه الأمراء والعظماء وسارت وراء نعشه بغداد كما كانت تسير وراءه أيام حياته ، وحزن عليه الأصحاب والمريدون .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ